



بالامس كان الجدار يستفزك بصمته و ثباته امام ركلاتك المجنونة المتأبرة.. فانت لم تصدق انه جدار.. او لعلك لم تعد تفهم الفرق بينه و بين ما حولك من كائنات، فصدودهم لك لا يختلف عن إتكاء هذا الجدار الى فراغ، و امتناحه عن ترديد صدالك..
_ها ها ها..

قهقهه ما شنت لان الشمس تخترقك كأنتك من زجاج.. و لا ظل لك.

المشقراء المارة على عجل تنظر اليك بازدراء..

_سحنتك مريبة، و شرقية بشاربين صداميين؟؟؟؟؟؟؟؟

رجل احمر الوجه يرمقك بإشمئزاز.. يذكرك بمعاذ، و سوطه، و الكرسي الكهربائي، و المروحة التي تعلق فيها بحبل مشدود لسائيك.. و مؤخرتك الدامية و هم يحشرون كل ما أعتادوا على حشره في مؤخرات السجناء حتى لحظة اعترافهم بما ارتكبوه من جرائم، و بما لم يتبينوه من تهمة منسوبة اليهم، لا تعني تفاصيلها بالتأكيد من هو على شفير الموت.. بمعنى آخر كل ما جعلك تقطع المقفار مشيا على الاقدام حتى موضعك هذا من حديقة خضراء منسقة بطريقة لم تعتدها عيناك.
صمتت طويلا قبل رحيلها و تحولت الى أحجية.. غضبك و صراخك لم يجد نفعاً.. إستخدامك للفتك الدأم عند احتدام الخلاف هو الاسوأ..

ربما هو ما دفعها لحمل حقيبتها بلا عودة..؟؟؟؟؟؟؟؟

الشمس.. رفيقة ماضيك، و ساعتك المفضلة لمعرفة الوقت، و بهجة العودة بأكياس طعام.. صارت بخيلة المعطاء هنا.. تتصب عرقا و تستجيب لأوامر "الخَلْفَة"(1)، لا يعينك الفرق بين الإرغام و الحرية، بين الرضا و الرفض.. ففي نهاية النهار ستشبع بطونا جائعة، و يتحلق حولك الجميع، ينتظرون ما في جيبك من حلوى..
أهي الشمس ذاتها؟ ألم تتغير؟؟...

تخترقك الآن بسيوف الضياء.. و على العشب الناذي الشديد الخضرة دون ذرة غبار لا يرتسم ظلك..؟؟؟؟

اطفال يهرولون في الحديقة العامة، يعرفون البهجة فحسب..

بحجمك الصغير هرولت خلف اللقمة.. في سوق مزدحم..

خياران فقط على الأغلب تبينهما والذك يومها.. الموت دون علم عراقي يلف نعشه أو الموت ممزقا.. مجهول الهوية في حرب ذاقة البسوس..

لم يشأ الموت لأجل ذاقته.. و لا أظنه شعر بسعادة الخلاص عندما ربطوه على جذع نخلة يتلون عليه بيان إعدامه، مباركا بزغاريد الماجدات من حوله، و متوجا في النهاية برصاصة رحمة يطلقها رفيق شديد الاخلاص لقائده الفذ..

_هل كان لك ظل يومها؟

لم تجد الوقت لتفكر.. فصاحب المطعم المجاور يبحث بإستمرار عن أية خلوة ليحشر قضيبه في مؤخرتك كما فعل الرفيق معاذ لاحقا.. ترتعد و تتحاشى اللقاء به.. و كثيرا ما نسيت أمر بضاعتك الهزيلة تاركا إياها للسراق..

الشمس تخونك اليوم.. "الشمس اجمل في بلادي من سواها.. والظلام حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق"(2)..

ما انت بكسيح الساقين، بل كسيح الروح.. و الخليج ليس امامك.. ليس هنالك من فرصة لتأمل الخليج.. هو ايضا اصبح يستأصلك جغرافيا.. و الناس على سواحل لا يرون سيابك، و لا يريدون تذكره..

جسدك الغريب المثير لإشمئزاز المارة.. تخترقه النظرات المستهجنة..

(غريبة من بعد عينك يا يمه.. محتارة بزمانني..)(3)

يتهدج صوتك تعجز عن نطقها؟؟.. كلمة (ي م ه)؟؟..

المكان لا يليق بقدرسية المرأة التي تذررت بالسواد منذ صوبت البنادق نحو صدر ابيك و هو موثق الى نخلة.. مذ منعت من البكاء علنا عليه.. مذ صارت تعمل في خدمة البيوت المترفة للضباط الكبار.. مذ قتلها البكاء على شقيقك الاكبر سنا..
_انشقت الارض و ابتلعتهم؟؟؟

اغلقت عينيها ابدا.. و هي تسأل الكون اللامتناهي عن بقعة قد يتواجدان فيها..
العيون المزرقة المخضر الملونة تطعنك؟؟؟؟
لا تدري؟؟

هو ذلك ، مثلما لا تفهم أهمية الزمن بالنسبة لهم.. و هم يتسابقون معه.. انت الغريب من تعتاش على فتاتهم..
مخلوق بسحنة مختلفة يتحاشاها الجميع.. غيبته السجون ، و اللقمة البائسة ، و البحث عن ملجأ حيث لا يرون لك جذرا و لا جذع نخلة و لا ثمرا..

صورتها محطمة المزجاج.. هذا لا يعني ابدا ان البلاد ليست بلادها.. لن يدمي قلبها حطام زجاج في غرفة الغريب..
الذهول يحيط بك و انت الى جوارها.. لديها قدرة هائلة على طرح اسئلة يتعذر ان تجيب عليها دون استخدام الفعل المساعد تشا (جا)(4)..
كيف لك ان تشتل النخيل على السرير.. و تبسط وادي الراضدين؟؟؟؟؟؟
شقاء لا تشبه امك و لا اختك.. دمية جميلة.. تمنيت لو حظيت بها و انت صبي.. الدموع لا تترقرق في عينيها.. و ليس بينها و بين حزنك السومري عشرة..

_الجث جعلت من الكلاب ذئابا..

صوته يتدحرج ككل حصى الذكريات البعيدة المغبرة..

_المتحق بالقوات الامريكية!!

فكرة يائسة المقت بك في معسكر الصحراء (رفحاء) (5) حيث تمنيت لو انك جزء من الرمال المترامية الاطراف لا شهيق يعلو و لا زفير يهبط..

_انت عراقية؟؟؟؟

سؤال اشبه بتهمة..

تركلك الجدار.. تركلك مؤخرة صاحب المطعم.. تركلك المرفيق بملابسه الزيتونية و هو يطلق رصاصة الرحمة على رأس ابيك المخائن المجوسي.. تركلك البضاعة التي لا تعرف بيعها و انت مجرد طفل باك لاجل لعبة في العربية المجاورة.. تركلك سر الارض التي ابتلعت شقيقك.. تركلك الحدود بينك و بين دول العرب.. تركلك مطاراتهم التي لا تستقبلك.. تركلك الماضي كله دون حاضر بين يديك دون مستقبل لا تغترب فيه..
هل تركلك النخيل؟؟؟؟

انه ينمو داخلك.. كما ينمو حزنك على وجه امك و هي تحتضر، و تستحضر ارواح المغيبين، و تحصيلهم و تنادي عليهم واحدا إثر الآخر..

مجيد..سالم..حسن..هادي..

_انا هنا يمه...

انها لا تسمع كما هو دجلة حين تسأله عنه.. تبحث عن جثته الطافية و قد تورمت و ضاعت ملامح وجهها..

و من جديد تتجه نحو مشرحة الطب العدلي..

رأس كلب خيط الى جثة شوها التعذيب..

تنقياً.. تنقياً.. المرأة تبكي و هي ترش الماء على وجهك..تناديك من خلال غيبوبتك:

_هل وجدته؟..هل تعرفت عليه؟؟؟؟

المشقيق الاخير.. من يشبه اباك تماما..

كيف ستقول لها انك لم تعثر على الجثة؟؟؟؟؟؟؟؟

زوجته مدثرة بالسواد ايضا، و لا عزاء ينصب.. دون جثة..و لا حتى رأس..

تحتضن..الزخارف، و المقايض الفضية، و النقوش الرائعة، تلح بسؤالك عند الضريح..

لا جواب في الكاظمية، لا جواب في كربلاء، لا جواب حتى في مقابر المنجف..

حزنك اصبح لغزا محيرا.. تربت برفق بيدها المشذبة الماظفر..

_انا اسفة!!!!

تركلك الجدار الماصم من جديد..

هذه البلاد تتبرأ من فعل سفاحيها على اراضيها.....

تلتفت اليك..؟؟؟؟؟؟؟؟

_ليس ذنبي كيف تعيشون هناك..

تهز كتفها.. تحمل الحقيبة و تمضي..
شقاء أخرى تبعد ابنها عنك محذرة اياه من التحدث الى الغرباء..
تجهش بالمكاء..
الشمس تخترقك حتى المعظم ، و لا ظل لك على اخضرار العشب النظيف جدا دون ذرة غبار.....

- (1)المخَلْفَة هو الماسطة او رئيس عمال البناء
- (2)مقطع من قصيدة "غريب على الخليج" للسياب
- (3)اغنية حزينة عن المام للمطربة العراقية زهور حسين.
- (4).تشا او جا كلمة تميز لهجة اهل الجنوب في العراق
- (5) معسكر حدودي بين العراق والسعودية اقامته القوات الامريكية عام 1991 لاستقبال العراقيين الهاربين من حكم صدام وتم من خلاله ترحيلهم الى بلدان اخرى بديلة في اوربا و امريكا.

دماجدة غضبان

كاتبة عراقية

طبيبة بيطرية

tabohat.blogspot.com

www.facebook.com/majidahghdban

www.facebook.com/d.majidah

twitter.com/majidahahdbann

www.youtube.com/user/majidahable

majdah.weebly.com

soundcloud.com/majidahahdban

www.pinterest.com/majidahahdban

<http://majidahart.blogspot.com/>